القدوة الحسنة

٢

أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب
وسرُّ عدالته

محمد خير يوسف

دار ابن حزم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب

وسرُّ عدالته

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القدوة الحسنة

(٢)

أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب
وسرُّ عدالته

محمد خير يوسف

دار ابن حزم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله واصحابه اجمعين .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الأول

وقفات وعبر

في سيرة أمير المؤمنين عمر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هل تريد أن تعرف أوصاف أمير المؤمنين عمر؟

حسناً !

لقد كان أبيض ، تعلوه حمرة .

طويلاً ، جسيماً .

أصلع ، شديد الصلع .

أشيب، يخضب بالحنّاء .

أعسر يَسِر ، أي يستعمل كلتا يديه .

وكان يسرع في مشيته ، تتدانى قدماه إذا مشى ، وكأنه راكب والناس يمشون !

وكان قوي البنية ، فارساً ، إذا وثب على فرسه ثبتَ عليه بلا حراك ، وكأنه خُلق على ظهره !

وقد طلب معاوية بن أبي سفيان من صعصعة بن صُوحان أن يصف له عمر فقال : كان عالماً برعيته ، عادلاً في قضيته ، عارياً من الكِبْر ، قبولاً للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحرياً للصواب ، رفيقاً

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالضعيف ، غير محابٍ للقريب ولا جافٍ للغريب .

ثم إنه ـ رضي الله عنه ـ يلقي ضوءاً على منهجه في الحياة فيقول :

لولا ثلاثٌ لأحببتُ أن أكونَ لقيتُ الله :

لولا أن أضع جبهتي لله .

أو أجلس في مجالس يُنتقىٰ فيها طيِّبُ الكلام كما ينقى جيد التمر .

أو أن أسير في سبيل الله ـ عز وجل ـ .

* * *

وهل تريد أن تعرف بعض ما قاله فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟

حسناً !

لقد دعا أولاً ربه أن يهدي أحد شخصيتين كبيرتين في عصره ، هما : أبوجهل ، وعمر بن الخطاب . وكان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أحبهما إليه عمر . فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «**اللهم أعزَّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك : بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب**»(١) .

ويُسْلِم عمر !

ويكبِّر المسلمون تكبيرة سُمعت بطرق مكة ؛ وقد كانوا مستخفين !

ويخرج من عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد إعلانه شهادة الحق . .

وكان المشركون برغم ذلك يهابونه !

وعندما كان يمرُّ بمن أسلم ويراهم يُضربون ويعذَّبون ، ولا يفعلون به ذلك ، كان يرى في نفسه منقصة ، ويشعر بكآبة ، لأنهم لا يتعرَّضون له !

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح غريب . كتاب المناقب ، باب في مناقب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، الحديث رقم ٣٦٨١ ، ٥/٦١٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعندما لم يعجبه هذا «الوضع» ، يجيء إلى خاله أبي جهل ـ وكان شريفاً ـ فيقرع عليه الباب ويقول له : أعلمتَ بأنني أسلمتُ ؟ فيقول له : لا تفعل ، فيجيبه عمر : قد فعلتُ . فيردُّ خاله الباب في وجهه !

ثم يذهب إلى عظماء قريش ، فيقرع عليهم الأبواب ، ويخبرهم بإسلامه ، فيفعلون به كما فعل خاله . . ولم يزيدوا على ذلك !

وإلى هنا أيضاً لم يعجبه وضعه الذي هو فيه ! إنه يريد مصادمة ! يريد مجابهة تليق بشخصيته ! يريد مقاومة حقيقية يبرز لهم فيها قوة إيمانه وبغضه للشرك وأهله ! فماذا يفعل ؟ وكيف ؟

يشير إليه أحدهم بقوله :

ـ أتحبُّ أن تُظهر إسلامك ؟

فيقول : نعم .

قال : فإذا اجتمع الناس في الحِجْر ، فَأْتِ فلاناً

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ـ لرجلٍ لم يكن يكتم السر ـ فقل له فيما بينك وبينه ، فإنه سيظهر عليك أمرك !

ويفعل عمر ذلك .

ويرفع ذلك الرجل عقيرته ، وينادي بأعلى صوته : ألا إن ابن الخطاب قد صبأ !

فيثور الناس إليه من كل مكان . . وصاروا يضربونه ويضربهم . . وتحتدُّ المعركة ، ويعلو الغبار ، وتتعالى الأصوات . . حتى يتدخل خاله ، ويعلن للناس ويقول :

ـ قد أجرتُ ابن أختي .

فينكشف الناسُ عنه .

ثم يعود إلى «وضعه» السابق . . فيرى المسلمين يُضربون ولا يصيبه من ذلك شيء ، فيقول :

«ليس هذا بشيء ، حتى يصيبني الناسُ ، وأُضرَبُ كما يُضربون» .

فأتى خاله ، ودار بينهما الحوار القصير التالي :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- يا خال .
- ما لك يا ابن أختي ؟
- جوارك عليك ردٌّ !
- لا تفعل !
- قد فعلتُ .
- أنت حر !

قال عمر: «فما زلتُ أَضربُ الناس ويضربوني ، حتى أعزَّ الله الإسلام ونبيَّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ » .

وإذا كان الله أعزَّ الإسلام بعمر ، وصارت بذلك للمسلمين هيبة ، فإن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقول أيضاً : «كان عمر حائطاً حصيناً على الإسلام ، يدخل الناس فيه ولا يخرجون» .

● ويُمضي عمر حياةً مليئةً بالجد والعمل والجهاد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . . حياة كلها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إيمان وصبر ودعوة ودفاع . . ما كان ينقطع عن أمر مهم من أمور دولة الإسلام الفتية . . بل كان دائم الحضور «بفاعلية» . . ويبدي رأيه بكل وضوح ، ويتمسك به ولا يلين . . ما دام أنه لصالح الإسلام وقوته ومَنَعته ! حتى قال ابن عباس لعمر ـ رضي الله عنهم ـ يوم أن اغتيل ـ : «. . وايمُ الله إن كنتُ لأظنُّ أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وذاك أني كنت أكثِّر أسمعُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : جئتُ أنا وأبوبكر وعمر ، ودخلتُ أنا وأبوبكر وعمر ، وخرجتُ أنا وأبوبكر وعمر . فإن كنتُ لأرجو أو لأظنُّ أن يجعلك الله معهما»[1] .

● ويسميه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الفاروق ، لأنه فرَّق بين الحق والباطل . ويقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكل فخر واعتزاز عن

---

(١) رواه مسلم . كتاب فضائل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، باب من فضائل عمر ـ رضي الله عنه ـ ١١٢/٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

صاحبه هذا : «**إيهاً يا ابن الخطاب ! والذي نفسي بيده ما لقيَكَ الشيطان سالكاً فجًّا قطُّ إلا سلك فجًّا غير فجِّك**»(١) .

وقد كان ـ رضي الله عنه ـ سديد الرأي ، حصيفاً ، عميق الفكرة ، ذكياً ، سريع البديهة ، عارفاً بالأمور ، ملماً بالأحوال العامة لمجتمعه والظروف المحيطة به . يقلّب الأمور على وجوهها حتى يهديه الله إلى ما فيه الخير والصواب . وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**»(٢) .

وكان عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقول :

---

(١) متفق عليه . البخاري : كتاب فضائل أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، باب مناقب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ١٩٨/٤ ، ومسلم في المصدر السابق ١١٥/٧ .

(٢) رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب . كتاب المناقب ، باب في مناقب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، رقم ٣٦٨٢ ، ٦١٧/٥ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إني لأحسبُ عمرَ بين عينيه مَلَكٌ يسدِّده ويقوِّمه !!

ويقول ـ وهو الذي مُلِيءَ علماً ـ : إذا ذُكر الصالحون فحيَّهلا بعمر ، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا في دين الله .

● وكانت هيبة عمر بين المسلمين عامة أيضاً . . فكان رجلَ إيمانٍ وعبادة ، ورجل أمانة وشجاعة ، ورجل سياسة ودولة . . وكان الناس يخشونه لقوة شخصيته الإسلامية ، ولعدم خوفه في الله لومة لائم . . وكان المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ يقول : «كان مما تميَّز به عمر ـ رضي الله عنه ـ : الرعب ! إن الناس كانوا يفرقونه» ، أي : يفزعون منه .

لكنه كان رحيماً بهم ، شفوقاً عليهم . . وبرز هذا واضحاً أثناء خلافته ـ رضي الله عنه ـ . وعندما وَلِيَ أمرَ المسلمين أفصح له أحدهم ، بأن بعض الصحابة كَاد أن لا يوافق على توليه أمر المسلمين ، وقال : يزعمون أنك فظٌّ غليظ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فرد عليه عمر ـ رضي الله عنه ـ : الحمد لله الذي ملأ قلبي لهم رُحماً ، وملأ قلوبهم لي رُعْباً !

وكان يقول : اللهم إنك تعلم أني منك منهم أشدُّ فَرَقاً منهم فيَّ .

أي أنه يخاف الله لأجلهم أكثر من خوفهم من عمر !

● ولهذه الصفات العظيمة وغيرها اختاره ـ عليه الصلاة والسلام ـ وزيراً له ، هو وأبابكر ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «**ما من نبي إلا له وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض . فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل ، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبوبكر وعمر**»(١) .

بل أوصى أمته ـ كذلك ـ بالاقتداء بهما ، فقال

---

(١) رواه الترمذي وقال : حسن غريب . كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ ، رقم ٣٦٨٠ ، ٥/٦١٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «اقتدوا باللَّذَيْن من بعدي : أبي بكر وعمر»[١] .

* * *

وهل تريد أن تعرف شيئًا من سيرته ، وما قيل في زهده وتواضعه ، وعدله ومرحمته ؟

حسناً !

لقد كان زاهداً في الحياة ، مكتفياً بالقليل الذي يقيم صلبه ، تاركاً أمور التنعم والرفاهية لأهله ، غير مكترث بالدنيا ومغرياتها . .

ومن مظاهر تواضعه وإيثاره الاخشيشان في أموره ، ما رواه عبدالله بن عامر بن ربيعة قال : حججتُ مع

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن . كتاب المناقب ، باب مناقب أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ كليهما ، الحديث رقم ٣٦٦٢ ، ٥/٦٠٩ ـ ٦١٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عمر ، فما ضرب خيمةً ولا خِباءً ! بل كان يُلقي كساءً على الأرض ، وقطعة قماش على الشجرة ، ويستظل تحتها !!

وعندما رأى ابنه عاصماً يأكل لحماً قال له : ما هذا ؟
قال : اشتهينا لحماً فأكلناه .
فقال له : أَوَ كلما اشتهيتَ شيئاً أكلته ؟ كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كلَّ ما اشتهى !

وعندما يطلب منه أهله وأصحابه أن يأكل طعاماً طيباً لأنه أقوى له على الحق ، يجيبهم بقوله : لكني تركتُ صاحبيَّ على جادةٍ ، فإن تركتُ جادتهما لم أدركهما في المنزل !

وكان معاوية ـ رضي الله عنه ـ يعرف هذا ويقول : أما أبوبكر فلم يُرِد الدنيا ولم تُرِدْه ، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يُرِدْها ، وأما نحن فتمرَّغنا فيها ظهراً لبطن !!

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حقاً كان كذلك . .

لقد أتت إليه كنوز كسرى ، وطُلب منه إدخالها إلى بيت المال حتى يتفرَّغ لقسمتها في الصباح . .

لكنه يأبى ، ويحلف أن لا يؤويها إلى سقفٍ حتى يوزعها على الفقراء والمحتاجين من ذوي المجاهدين وغيرهم ! فوضعها في وسط المسجد ، وبات بعض الصحابة يحرسونها .

وأتى في الصباح ، فكشف عنها ، فرأى من الذهب والفضة ما يكاد يتلألأ . . فبكى !

فقيل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن هذا ليومُ شكر ويومُ سرور !

فقال : إن هذا لم يُعْطَه قوم إلا أُلقيت بينهم العداوة والبغضاء .

● أما في عام الرمادة ، فقد كان أشدَّ على نفسه من كل ما مضى !

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فما كان يذوق السمن ، بل كان يكتفي بوضع الزيت في طعامه ، حتى أفسد عليه بطنه ، فكان يقرقر . . وعندما سمع هذا الصوت نقر بطنه بإصبعه وقال : إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس !!

لقد شدَّد على نفسه كثيراً هذا العام ، حتى قال أسلم : كنا نقول : لو لم يرفع الله المَحْلَ عام الرمادة لظننا أن عمر يموت !

● وكان أيضاً حريصاً على أن ينتقي ولاته وأمراءه من الزهَّاد ، وكان يشترط عليهم شروطاً عندما يوليهم أمر مدينة أو منطقة . . ومما كان يطلب منهم أن لا يغلقوا أبوابهم دون ذوي الحاجات ، وأن لا يلبسوا لباساً رقيقة . .

وعندما تشكو أعرابية إليه محمد بن مسلمة الذي كان ساعياً ولم يُعطها شيئاً في تلك السنة ، يدعوه عمر ، ويحاسبه على تقصيره ويقول له :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن الله بعث إلينا نبيَّه محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصدَّقناه واتبعناه ، فعمل بما أمره الله به ، فجعل الصدقةَ لأهلها من المساكين حتى قبضه الله على ذلك . ثم استخلف الله أبابكر ، فعمل بسنته حتى قبضه الله . ثم استخلفني . فلم آلُ أن أختار خياركم أن بعثتُك ، فأدِّ إليها صدقةَ العام وعامِ الأول ، وما أدري لعلي لا أبعثك .

ثم دعا لتلك الأعرابية بجمل ، وأعطاها دقيقاً وزيتاً وقال : خذي هذا حتى تلحقينا بخيبر .

فأتته بخيبر ، فدعا بجملين آخرين ، فحملهما دقيقاً وتمراً ، وقال لها : خذيه ، فإن فيه بلاغاً حتى يأتيكم محمد بن مسلمة ، فقد أمرته أن يعطيكِ حقَّكِ للعام وعامِ الأول .

● وقصة المرأة التي كانت تغلي لأطفالها ماءً تعللهم به حتى يناموا معروفة مع عمر ـ رضي الله عنه ـ . . .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لقد أبى أن يحمل خادم بيت المال الدقيق والسمن والثياب والدراهم لتلك المرأة وأطفالها ، ولم يرد حملها على دابة ، بل حملها هو على كتفه حتى أتى منزلها . وأخذ يصنع لهم الطعام ، والدخان يخرج من بين لحيته الكثيفة . . ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا .

ولم يكتفِ بذلك ، بل ابتعد عنهم قليلاً ، وبقي هناك رابضاً بجانبهم حتى لعبوا وضحكوا . عند ذلك يقوم عمر . . ويقول للخادم : تدري لماذا ربضتُ بحذائهم ؟

قال : لا يا أمير المؤمنين .

قال : رأيتهم يبكون ، فكرهتُ أن أذهبَ عنهم حتى أراهم يضحكون ، فلما ضحكوا طابت نفسي !

بالله عليك يا أخي المسلم ، هل رأيت مثل أمير المؤمنين عمر من يحب رعيته ويعطف على مساكينهم ويشفق على فقرائهم ؟

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لقد كانت عنده أفكار عظيمة . . وكان كلُّ همه في أمور رعيته ، التي كان يرى أنه مسؤول عنهم أمام الله . . وتصوَّر معي ـ يا أخي القارىء ـ أنه كان قد خطط عام الرمادة لشيء لا يخطر على البال ! وهو أن يضع فقيراً في كل بيت من بيوت المسلمين في الحَضَر حتى يكشف الله عنهم ، كما ذكره ابن شبَّه في «تاريخ المدينة المنورة» !

لكن الله سلَّم . . فقد استجاب الله دعاء المسلمين ، وعلى رأسهم أميرهم العادل الزاهد ، فمُطروا ، وكشف الله ما بهم !

● وفي إحدى الليالي يلمح طلحةُ عمرَ خارجاً من منزله ، فيتبعه ، يريد أن يعرف أين يذهب . فدخل عمرُ بيتاً ، ثم دخل بيتاً آخر . . ورجع !

وفي الصباح يذهب طلحة إلى البيت الأول ، فيرى امرأة كبيرة في السن ، مشلولة ، فيسألها : ما بالُ هذا الرجل يأتيكِ ؟ قالت : إنه يأتي إلي منذ فترة طويلة ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«يأتيني بما يُصلحني ، ويخرج عني الأذى» !

فيقول طلحة لنفسه عندئذ : ثكلتك أمك يا طلحة ، أعثراتِ عمر تتبع ؟!

وقد كان يحمل بين جنبيه قلباً كبيراً ، إلى جانب هذه القوة الكبيرة ، ويحمل بين جوانحه مشاعر رقيقة إلى جانب هذا البأس والشكيمة !

فقد كان يحبُّ شقيقه زيداً حباً شديداً . . حباً كبيراً لا يتصور . . فقد كان زيد أسلم قبله ، وكان يفتدي الإسلام ورسول الإسلام بكل ما يملك ، كلما نادى منادي الجهاد . .

وعندما يهبُّ المسلمون لقتال أهل الردة ، يستعدُّ لذلك زيد ، ويمضي إلى معركة اليمامة . لكن عمر يستوقفه ، ويقسم عليه بالله العظيم أن يلبس درعه ، ليرد عنه ضربات السيوف وفتكات السلاح . . فيتوقف زيد قليلاً ، ثم يلجأ إلى درع أخيه عمر ، فيلبسه ـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

استجابة لقسم أخيه ـ ثم ينزعه مباشرة !

فيقول له عمر : ما لك يا أخي تفعل ذلك ؟

فيجيبه أخوه : إني أريد بنفسي ما تريد بنفسك .

أي أنه يريد الشهادة والجنة ، كما هو يريد لنفسه ذلك .

ويستشهد زيد . . ويحزن عليه عمر حزناً شديداً . .

وكان يقول : إن الصَّبا لتهبُّ فتأتيني بريح زيد بن الخطاب ! يرحمه الله . . إني لأحسب أني لو كنتُ أقدر على أن أقول الشعر لرثيتُه .

ويتوقف عند صحابي جليل هو «متمم بن نويرة» ، وكان قد مات له أخٌ على الشرك ، فيسأله عمر : ما أشدَّ ما لقيتَ على أخيك من الحزن ؟

فيجيبه متمم بحزن شديد : لقد كانت لي عين سليمة ، فأكثرتُ البكاء حتى فاض الدمع من العين الذاهبة !

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم يذكِّر عمرَ مخففاً عليه الحزن على أخيه زيد : يا أمير المؤمنين ، لو قُتل أخي يوم اليمامة كما قُتل أخوك ما بكيتُه أبداً ، ولكني أبكي عليه لأنه مات على الشرك . .

وبهذه التذكرة أبصر عمر ، وتعزَّى عن أخيه .

❊ ❊ ❊

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني

سرّ عدالة عمر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أما سرُّ عدالته ـ باختصار ـ فإنه يعود إلى خشيته من الله ـ عز وجل ـ ، ويعضدها زهده في الدنيا .

أما زهده فقد عُرف من ملبسه ومأكله ، ومن وعظه الناس بعدم الغرور بالدنيا الفانية . .

وكان حريصاً أن يبقى على هذا المنهج حتى يأتيه أجله . .

وعندما تأتيه ابنته حفصة أم المؤمنين ، وتراه في حال الزهاد ، تقول له : يا أمير المؤمنين ، لو لبستَ ثوباً هو ألينَ من ثوبك ، وأكلتَ طعاماً هو أطيب من طعامك ، فقد وسَّع الله ـ عز وجل ـ من الرزق ، وأكثر من الخير .

فيجيبها قائلاً : إني سأخصمك إلى نفسك ! أما تذكرين ما كان يلقى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من شدة العيش ؟ فما زال يذكِّرها بأحوال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أبكاها . ثم قال لها : والله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لئن استطعتُ لأشاركنهما بمثل عيشهما الشديد ، لعلي أدرك معهما عيشهما الرخيّ .

ولا تظننَّ أن الزهد كان طبيعةً في شخص عمر فكان يرى راحته في موافقة طبعه !

بل كان متقصِّداً له ، مكرهاً نفسه عليه . . لأنه يرى ذلك أكثر عوناً له في المضي في الحق ، وألزم له في طريقه إلى الآخرة . . حيث لا مطمع له في دنيا ، ولا يريد منها شيئاً . . فلا يبقى أمامه إلا التفكر بأحوال رعيته وإقامة الحق بينهم ، ورفعة راية الإسلام وإقامة شعيرة الجهاد في البلدان ، والاستعداد لليوم الآخر لتخفيف وطأة الحساب .

لقد كان ـ رضي الله عنه ـ يقول : وجدنا خير عيشنا الصبر .

وكان يقول : والله إني لو شئتُ لكنتُ من ألينكم لباساً ، وأطيبكم طعاماً ، وأرقكم عيشاً . . ولكني

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سمعت الله ـ عز وجل ـ عيَّر قوماً بأمر فعلوه فقال : ﴿أَذْهَبْتُمْ طيباتِكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها . . ﴾[1] .

وكان يقول : نظرتُ في هذا الأمر ، فجعلتُ إذا أردتُ الدنيا أُضرُّ بالآخرة ، وإذا أردتُ الآخرة أُضرُّ بالدنيا ، فإذا كان هكذا فأُضرُّ بالفانية .

وكتب إلى أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ : «أما بعد ، فإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الرعاة عند الله ـ عز وجل ـ من شقيت به رعيته . وإياك أن ترتع فيرتع عمالك ، فيكون مَثَلُك عند الله ـ عز وجل ـ مَثَلُ البهيمة نظرتْ إلى خضرة من الأرض فرعتْ فيها تبتغي بذلك السِّمَن ، وإنما حتفها في سمنها . والسلام عليك» .

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية ٢٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وإن الجملة الأخيرة والتشبيه البليغ الذي ضربه عمر ـ رضي الله عنه ـ يحمل في طياته معاني كبيرة ومنهجاً قويماً للحكم . وهو ما يفرِّق الحاكم الزاهد في الدنيا عن غيره ممن يريد أن يأخذ كلَّ ما فيها ، ولو كان من أفواه اليتامى ، أو من أيدي المساكين ، أو من كدِّ العاملين والمحتاجين . وسواء أكان غصباً بطريق الضرائب أو إكراهاً عن طريق الرشاوي ، وسواء أكان هو أم أعوانه !

ولقد ضرب لهم مرة مثالاً عملياً لقيمة هذه الدنيا !

فقد أورد أبونعيم الأصبهاني عن الحسن البصري ، أن عمر ـ رضي الله عنه ـ مرَّ على مزبلة ، فوقف عندها ، فكأن أصحابه تأذَّوا بها ، فقال لهم : هذه دنياكم التي تحرصون عليها ، أو تتكلون عليها .

ولئن كان قد قال ذلك ، فقد ضرب رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثالاً أبلغ من ذلك ، وذلك عندما «**مرَّ بالسُّوق ، داخلاً من بعض العالية ، والناس**

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كَنَفَتَيْهِ[١] ، فمرَّ بجدي ، أَسَكَّ[٢] ، فتناوله ، فأخذ بأذنه ثم قال : أيكم يحبُّ أن هذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحبُّ أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ؟ قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حيًّا كان عيباً فيه لأنه أسكُّ ، فكيف وهو ميت ؟ فقال : فوالله للدنيا أهونُ على الله من هذا عليكم»[٣] .

* * *

● أما الخشية ، فهي الصفة الغالبة عليه ، وهي التي تضفي على أعماله واجتهاداته العدالة والمساواة ، وعدم التفرقة بين الرعية ، سواء منهم القوي أو الضعيف .

---

(١) أي على جانبيه .

(٢) هو الذكر من أولاد المعز الصغير الأذنين .

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ٨/ ٢١١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذه الخشية إنما تأتي من العلم . ولكن ليس أيَّ علم ! بل العلم «الحقيقي» . . العلم الذي يبعث على التفكُّر ، وعلى الخوف ، وعلى الرهبة من الله ـ عز وجل ـ .

العلم الذي يفيد في التطبيق ، الذي يعين على القدوة الحسنة ، والخُلق الحسن ، والمعاملة الطيبة ، والجرأة في قول الحق ، والأمانة في الحكم . .

يقول عزَّ مِنْ قائل : ﴿**إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ**﴾(١) .

ولذلك فإن الربيع بن أنس كان يقول : من لم يخشَ الله تعالى فليس بعالم .

وكان عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقول : ليس العلم عن كثرة الحديث ، ولكن العلم عن كثرة الخشية .

---

(١) سورة فاطر ، الآية ٢٨ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فالخشية والخـوف من الله ـ عز وجـل ـ من لوازم العلم الحق .

والعلم الـذي نتعلمـه ليس هدفاً لذاته ، إنما هو وسيلة لغاية فريدة ، هي إرضاء الله تعالى ، ونشر دينه والعمل على تطبيقه . .

وهذا ما كان يفعله عمر !

وقـد شهد له الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بالعلم الكثير والتفقه في الدين . . كما مرَّ من قول ابن مسعود ـ رضي الله عنه .

بل شهد له الرسول الأعظم ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ ، كما رواه الشيخان والترمذي !

فقـد روى هو نفسه ـ رضي الله عنه ـ عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : «**بينا أنا نائم ، إذ رأيتُ قدحاً أُتيتُ به فيه لبن . فشربتُ منه ، حتى إني لأرى الرِّيَّ**

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يجري في أظفاري . ثم أعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب . قالوا : فما أوَّلتَ ذلك يا رسول الله ؟ قال : العلم»(١) .

ولقد كان هذا العلم «الحقيقي» يبعثه على البكاء الشديد أيضاً خشية من الله ـ تعالى ـ وخوفاً من عقابه . . فماذا يقول أمثالنا ؟!

وقد كان هذا الخليفة القوي من أرق الناس فؤاداً . . وكان ينصح أن يجالس المرء من توفرت فيه هذه الصفة ، فيقول ـ رضي الله عنه ـ : «جالسوا التوابين فإنهم أرقُّ شيءٍ أفئدة» .

---

(١) البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، باب مناقب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ٤/١٩٨ . ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، باب من فضائل عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ ٧/١١٢ . والترمذي في كتاب المناقب ، باب في مناقب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ رقم ٣٦٨٧ ، ٥/٦١٩ وقال : حديث حسن صحيح غريب .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد روى عبدالله بن عيسى أنه كان في وجه عمر خطان أسودان من البكاء .

وذكر هشام بن الحسن قال : كان عمر يمرُّ بالآية ، فتخنقه ، فيبكي حتى يسقط ، ثم يلزم بيته حتى يُعاد ، يحسبونه مريضاً !

وعن عبيد بن عمير قال : صلى بنا عمر صلاة الفجر ، فافتتح سورة يوسف ، فقرأها ، حتى إذا بلغ : ﴿**وابيضَّتْ عيناه من الحزن فهو كظيم**﴾[1] بكى حتى انقطع ، فركع .

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه صلى خلف أبيه ، فسمع خنينه من وراء ثلاثة صفوف !

إن هذا الذي ذُكر عنه من صفاته ، وما شاع في

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٨٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سيرتـه من عدله ومرحمته لشعبه ، وما ورد من قوله إنه يخشى أن يُحاسب يوم القيامة إذا عثرت دابة على شاطىء الفرات لأنه لم يسوِّ الطرق ولم يسهلها لمرور المواشي . . كل هذا وغـيره يؤكـد لنـا أنه كان يخشى الله في أقواله وأعماله ، وأن هذه الخشية كانت مبعثاً له إلى العدل ، خوفاً من أن يُعاقب يوم القيامة .

وقـد كان يتبـع المنهج نفسه مع شعبه ، فقد كان يذكِّرهم بالله ـ عز وجل ـ ، ويبين لهم مخاطر معصية الله وعدم تنفيذ أوامره ، كما كان يحاسب الولاة والأمراء إذا اشتكى منهم الناس . .

وقـد قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ كما في صحيح مسلم : «**إن عمر كان يخيف الناس في الله ـ عز وجل ـ**»[1] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب النهي عن المسألة ٣/٩٥ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والحق يقال إن هذا هو المنهج التربوي الإسلامي الصحيح في تربية الشعوب . . حتى لا تكون هناك ازدواجية منكرة في المجتمع الإسلامي . . سواء بين الطبقة الحاكمة نفسها ، أو بين الطبقة الحاكمة والشعب ، أو بين الشعب نفسه . .

لقد جمع ـ رضي الله عنه ـ بين صفات العلم والقوة والأمانة والعدل والحزم والخوف من الله . . فكان من أعظم من عرفه التاريخ البشري ، وليس التاريخ الإسلامي فقط !

* * *

● وبعد هذا كله ـ عزيزي القارىء ـ . . هل ترى عمر مقصراً في أداء واجبه ؟

وهل تراه يستحق لوماً أو عتاباً ؟ وهو الذي أعطى شعبه ـ كونه خليفة ـ كل شيء ، ولم يأخذ منهم شيئاً ؟!

لا شك أننا لا نرى ذلك !

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكنه مع كل هذا يخاف الله ـ عز وجل ـ ، ويخشى من الحساب في اليوم الآخر . . فهل لنا أن نعتبر مما يخاف به على نفسه ؟

إنه بعد هذه الحياة الحافلة بالعلم والعمل والجهاد والكدِّ والتعب . . يروي عبدالله بن عامر بن ربيعة ويقول : رأيتُ عمرَ أخذ تبنةً من الأرض فقال : يا ليتني هذه التبنة ، ليتني لم أكُ شيئاً ، ليت أمي لم تلدني !

وفي البخاري أنه قال لابن عباس وهو على فراش الموت : لو أن لي طِلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله ـ عز وجل ـ قبل أن أراه [1] .

* * *

(١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، باب مناقب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ٤/ ٢٠١ .
وطلاع الأرض : ملؤها .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

● وعندما تناله يد آثمة فتغتاله وهو في الصلاة . . ويُذهب به إلى البيت ليُمرَّض ، يسأل عمن ضربه ، فيقال له إنه فلان المجوسي . فيحمد الله ـ تعالى ـ أن قاتله ليس من المسلمين .

ويطلب من ابنه عبدالله أن يذهب إلى أمِّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ ، ويقول له : قل : يقرأ عليكِ عمرُ بن الخطاب السلامَ ، ولا تقل أمير المؤمنين ، فإني لستُ اليوم للمؤمنين بأمير . .

ويقول : قل لها : يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه ، فإن أَذِنَتْ فأدخلوني ، وإلا فردُّوني إلى مقابر المسلمين . .

وعندما يدخل عبدالله إلى عائشة يجدها قاعدة تبكي ، فيقول لها : استأذنَ عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فتقول : قد كنتُ أريده لنفسي ، ولأوثرنَّه اليوم على نفسي !

ويعود عبدالله ليبشر أباه بالجواب . .

ويضع عبدالله رأس والده في حجره .

لكنه يأبى ويقول له : ضع خدي على الأرض .

فيقول له ابنه : وما عليك يا أبي إن كان رأسك في حجري أو على الأرض ؟

فيقول له وهو في سكرات الموت : ضعه لا أمَّ لك . ويلي وويلٌ لأمي إن لم يرحمني ربي .

* * *

● يقول الإمام الزهري : لقد فتح الله الشام كله على عهد عمر ، والجزيرة ومصر والعراق كله . . ودوَّن الدواوين قبل أن يموت بعام ، وقسم على الناس فيئهم .

ما أعظمك يا أمير المؤمنين . . وما أعدلك .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وما أكثر ما قدمتَ للمسلمين . . وما أكثر ما رحمتهم .

وما أجمل أن يقتدي بك غيرُك من الحكام والولاة ، ويتبعوا منهجك ، منهج الحق . . وهم يعلمون أن سرَّ بقائهم في مناصبهم ، وسرَّ محبة شعوبهم لهم إنما هو في عدلهم ، وتقرُّبهم إليهم !!

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثبت المراجع

١ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة** / علي بن محمد بن الأثير .ـ بيروت : دار إحياء التراث العربي (مصورة من طبعة المطبعة الوهبية ١٢٠٨هـ) .

٢ ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : عهد الخلفاء الراشدين** / شمس الدين الذهبي ؛ تحقيق عمر عبدالسلام تدمري .ـ بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧هـ .

٣ ـ **تاريخ المدينة المنورة** / أبوزيد عمرو بن شبَّه النميري ؛ حققه فهيم محمد شلتوت .ـ جدة : دار الأصفهاني ، ١٣٩٩هـ .

٤ ـ **حلية الأولياء** / أبونعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني .ـ بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت .

٥ ـ **الرقة والبكاء** / موفق الدين بن قدامة المقدسي ؛ تحقيق محمد خير رمضان يوسف .ـ دمشق : دار القلم .

٦ ـ **الرياض النَّضِرة في مناقب العشرة** / المحب الطبري .ـ بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٧ ـ **سنن الترمذي** / تحقيق أحمد محمد شاكر ، إبراهيم عطوة ، محمد فؤاد عبدالباقي .ـ القاهرة : دار الحديث ، د. ت.

٨ ـ **الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء** / عبدالرحمن بن الجوزي ؛ تحقيق ودراسة فؤاد عبدالمنعم أحمد ؛ مراجعة محمد السيد الصفطاوي .ـ الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٣٩٨هـ .

٩ ـ **صحيح البخاري** .ـ إستانبول : المكتبة الإسلامية ؛ جدة : توزيع مكتبة العلم ، ١٤٠١هـ .

١٠ ـ **صحيح مسلم** .ـ بيروت : دار المعرفة ، د . ت (مصورة من طبعة ١٣٤٩هـ) .

١١ ـ **صفة الصفوة** / عبدالرحمن بن الجوزي ؛ حققه وعلق عليه محمود فاخوري ؛ خرج أحاديثه محمد رواس قلعجي .ـ ط ٢ ، مصححة ومنقحة ومزيدة .ـ حلب : دار الوعي ، ١٤٠٥هـ .

١٢ ـ **الطبقات الكبرى** / ابن سعد .ـ بيروت : دار صادر : دار الفكر ، د . ت.

١٣ ـ **معراج البيان** / اختيار وتصنيف علام سلامة .ـ القاهرة : مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، د . ت .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفهرس

الموضوع الصفحة

الفصل الأول: وقفات وعبر في سيرة أمير المؤمنين عمر ٧
أوصافه ٩
بعض ما قاله فيه رسول الله ﷺ ١٠
سيرته ١٩
الفصل الثاني: سر عدالة عمر ٢٩
ثبت المراجع ٤٦
فهرس الموضوعات ٤٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سلسلة القدوة الحسنة

١ ـ أبو بكر الصديق ـ خليفة رسول الله ﷺ.

٢ ـ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وسرّ عدالته.

٣ ـ عمر بن عبد العزيز ـ الخليفة الزاهد.

٤ ـ سفيان بن عُيَينة ـ شيخ الإسلام وحافظ العصر.

٥ ـ عبدالله بن المبارك ـ الإمام المجاهد.

٦ ـ الفضيل بن عياض ـ العالم القدوة.

٧ ـ ابن قدامة المقدسي ـ صاحب المغني.

٨ ـ صلاح الدين الأيوبي ـ ناصر السنّة وقاهر الصليبيين.